إِنَّ هٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شٰآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا

أي أنّ هذه الأيات هذه السُّورة من أوّلها الى آخرها تذكرة و موعظة لمن يتذّكر و يتّعظ بما فيها من آيات الوعد و الوعيد و التّخويف و التّرغيب.

فَمَنْ شٰآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا أي طريقاً موصلاً الىٰ طاعته و طلب مرضاته فهذه الآية صريحة في أنّ الإنسان مختارٌ في الدُّنيا وليس علىٰ اللّه و رسوله إلاّ الإرشاد و إرائة طريق الحقّ خلافاً للأشاعرة القائلين بالجبر و أنّ العبد لا إختيار له و ذلك لأنّ قوله: **فَمَنْ شٰآءَ** صريحٌ في المدّعىٰ و هو الإختيار فلو كان الإنسان مجبوراً لا إختيار له، فما معنىٰ هذا الكلام و يؤيّد ما ذكرناه قوله تعالىٰ: **لَآ إِكْرٰاهَ فِى ٱلدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ**(١) ثمّ قال بعد ذلك.

وَ مٰا تَشٰآؤُنَ إِلَّآ أَنْ يَشٰآءَ ٱللّٰهُ إِنَّ ٱللّٰهَ كٰانَ عَلِيمًا حَكِيمًا

قال القرطبي و هو من القائلين بالجبر في تفسير هذه الآية ما هذا لفظه، فأخبر أنّ الأمر اليه سبحانه ليس اليهم و أنّه لا تنفد مشيّئتة أحدٍ و لا تتّقدم إلاّ أن مشيّئته و ساق الكلام الىٰ أن قال و قيل أنّ الآية منسوخة و الأشبه أنّها ليس بنسخ بل هو مبين أنّ ذلك لا يكون إلاّ بمشيّته و نقل عن الفرّاء أنّه قال: **وَ مٰا تَشٰآؤُنَ إِلَّآ أَنْ يَشٰآءَ ٱللّٰهُ** جواب لقوله: **فَمَنْ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا** ثمّ أخبرهم أنّ الأمر ليس اليهم فقال: **وَ مٰا تَشٰآؤُنَ** ذلك السّبيل إلاّ أن يشاء اللّه لكم إنتهىٰ كلام القرطبي.

و نحن نقول أن كان الأمر ليس اليهم، فما معنىٰ قوله: **إِنَّ هٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شٰآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا** أليس للعبد أن يقول يوم القيامة لربّه أنّك أخبرتنا، أنّ الأمر ليس الينا، فلا ذنب لي ثمّ أنّ هذا الكلام أشبه شئ بإجتماع النّقيضين فأنّ قوله: **فَمَنْ شٰآءَ ٱتَّخَذَ** يثبت الإختيار، و قوله ليس الأمر اليهم علىٰ قول

١- البقرة = ٢٥٦

القرطبي يسلب الإختيار عنهم فالعبد مختار و غير مختار و هذا هو التّناقض بعينه لأنّ نقيض كلّ شئٍ رفعه فكأنّ اللّه تعالىٰ قال لهم، فمن شاء منكم إتّخذ الىٰ ربّه سبيلاً، أو فليتّخذ الىٰ ربّه سبيلاً، و ليعلم أنّ الأمر ليس اليه، أي لا يقدر علىٰ الإتّخاذ بل الأمر بيد اللّه لا إليه، و لا أظنّ أنّ العاقل يتفوّه بهذا الكلام الّذي لا يساعده العقل و النّقل و هذا فبلغهم من العلم و لم يعلموا أنّ القائل بهذا الكلام و حمل كلام اللّه عليه مسئولٌ يوم القيامة.

أن قلت فما معنىٰ الأية.

قلت المشيّئة في قوله: **إِلَّآ أَنْ يَشَآءَ ٱللَّهُ** بمعنىٰ العلم أي لا تشاؤن إلاّ أنّ اللّه تعالىٰ عالمٌ به و بعبارةٍ أخرىٰ ما تشاؤن إلاّ ما علم اللّه به و قد ثبت أنّ العلم الأزلي ليس علّةً لفعل العبد.

يُدْخِلُ مَنْ يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِ وَ ٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا

أي يدخل اللّه تعالى من يشاء من عباده في رحمته الواسعة و أمّا الظّالمون المنكرون للحقّ المتجاوزون عن الحدّ أعدّ لهم عذاباً أليماً، يوم القيامة بما كسبت أيديهم و ما ربّك بظلامٍ للعبيد.

■

سُورَةُ ٱلْمُرْسَلاٰتِ

بِسْمِ ٱللّٰهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَ ٱلْمُرْسَلاٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَالْعٰاصِفٰاتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَ
ٱلنّٰاشِراٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَالْفٰارِقٰاتِ فَرْقًا ﴿٤﴾
فَالْمُلْقِيٰاتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمٰا
تُوعَدُونَ لَواٰقِعٌ ﴿٧﴾ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَ
إِذَا ٱلسَّمٰآءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَ إِذَا ٱلْجِبٰالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾
وَ إِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾
لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَ مٰآ أَدْرٰيكَ مٰا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ
﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ نُهْلِكِ
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذٰلِكَ
نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ
﴿١٩﴾ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مٰاءٍ مَهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنٰاهُ فِي
قَرٰارٍ مَكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلٰى قَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنٰا
فَنِعْمَ ٱلْقٰادِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾
أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفٰاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيٰاءً وَ أَمْواٰتًا
﴿٢٦﴾ وَ جَعَلْنٰا فِيهٰا رَواٰسِيَ شٰامِخٰاتٍ وَ أَسْقَيْنٰاكُمْ
مٰآءً فُراٰتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾

ٱنْطَلِقُوٓا إِلىٰ مٰا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنْطَلِقُوٓا
إِلىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلاٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لاٰ ظَلِيلٍ وَ لاٰ
يُغْنِي مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهٰا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ
﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جِمٰالَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هٰذٰا يَوْمُ لاٰ يَنْطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَ لاٰ
يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هٰذٰا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنٰاكُمْ وَ
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِنْ كٰانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي
ظِلاٰلٍ وَ عُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَ فَوٰاكِهَ مِمّٰا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾
كُلُوا وَ ٱشْرَبُوا هَنِيٓئًا بِمٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنّٰا
كَذٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا وَ تَمَتَّعُوا قَلِيلاً إِنَّكُمْ
مُجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَ إِذٰا
قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا لاٰ يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

◀ اللّغة

عُرْفًا: بضّم الغَين معناه التّتابع أي متتابعة كعرف الفرس.

فَالْعٰاصِفٰاتِ: يقال عصفت الرّيح إذا إشتّد هبوبه.

وَ ٱلنّٰاشِرٰاتِ: النّشر التّفرق و منه نشر السّحاب في الهواء.

فَالْفٰارِقٰاتِ: هي الّتى تفرق بين الحقّ و الباطل.

فَٱلْمُلْقِيَٰتِ: فالإلقاء طرح الشّيْ.

عُذْرًا أَوْ نُذْرًا: قال أبو علّي (عذر و نذر) بضّم الذّال فيهما جمع عاذر و ناذر.

طُمِسَتْ: بضمّ الطّاء و كسر الميم بصيغة المجهول فالطّمس ذهاب الضّوء.

فُرِجَتْ: بضمّ الفاء بصيغة المجهول، فالفرج الشّق.

نُسِفَتْ: يقال نسفت الشّيْ و أنسفته إذا أخذته كلّه بسرعةٍ.

أُقِّتَتْ: بضمّ الألف و كسر القاف معناه، جمعت، و هو من الوقت بمعنىٰ الأجل.

أُجِّلَتْ: التّأجيل التّأخير أي أخّرت.

مَهِينٍ: المهانة الضّعف و الحقارة، أي ضعيفٌ حقيرٌ.

كِفَاتًا: الكفاة الغّمام يقال كفت الشّيْ يكفته كفتاً و كفاتاً إذا ضمّه، و قيل الكفاة الوعاء.

رَوَٰسِيَ: فالرّواسي الثّوابت.

شَٰمِخَٰتٍ: الطّوال و منه قولهم فلان شمخ بأنفه إذا رفعه كبراً.

فُرَاتًا: الفرات بضمّ الفاء الماء العذب.

ظِلٍّ: الظلّ بكسر الظّاء الدّخان.

مِنَ ٱللَّهَبِ: بسكون الهاء مصدر قولك لهب لهباً فاللّهب ما يعلوا علىٰ النّار إذا إضطربت من أحمرٍ و أصفرٍ و أخضرٍ.

بِشَرَرٍ: واحدته، شررة و هو ما تطاير من النّار في كلّ جهةٍ و أصله من شررت الثّوب إذا بسطته للشّمس ليجف.

كَٱلْقَصْرِ: القصر البناء العالى.

جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ: و هى الإبل السّود و أنّما سميّت صفراً لأنّه يشوب سوادها شيءٌ من صفرة (في ظلالٍ و عيون) ظلال جمع ظلّ، والعيون جمع عين.

◀ الإعراب

عُرْفًا في موضع الحال أي متتابعة عَصْفًا مصدر مؤكّد ذِ كْرًا مفعول به عُذْرًا أَوْ نُذْرًا فيها وجهان:

أحدهما: سكون الذّال فيهما أو ضمّها، فهما علىٰ هذا مصدران.

الثّانى: أنّهما جمع عذير و نذير، فعلىٰ الأوّل نصبهما علىٰ المفعول له أو علىٰ البدل من، ذكراً، و علىٰ الثّاني هما حالان من الضّمير في الملقيات أي معذرين و منذرين إِنَّمَا هاهنا بمعنىٰ، الّذي و الخبر، لواقع، و لا تكون ما، مصدريّة، و لا كافّة لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ هو جواب إذا في قوله فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ويلٌ، هو مبتدأ و يَوْمَئِذٍ نعتٌ له أو ظرف له وَالْمُكَذِّبِينَ الخبر إِلَىٰ قَدَرٍ في موضع الحال أَحْيَآءً قيل هو مفعول، كفاتاً و قيل هو المفعول الثّاني، لجعلنا لَا ظَلِيلٍ نعتٌ لظلّ هٰذَا هو مبتدأ يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ خبر.

◀ التّفسير

وَ ٱلْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا

الواو للقسم و ما بعدها للعطف، و الْمُرسَلات بضّم الميم و فتح السّين الرّياح، و قوله: عُرْفًا معناه متتابعات و قيل المراد بها الملائكة و قيل الأنبياء.

فَعلىٰ القَول الأوّل: معناه، أقسم بالرّياح المتتابعات لأنّ معنى عُرْفًا يتبع بعضها بعضاً كعرف الفرس تقول العرب النّاس إلىٰ فلان عرفٌ واحد إذا توّجهوا إليه فأكثروا و هو نصب علىٰ الحال و قيل عُرْفًا أي معروفاً إرسالها.

علىٰ القَول الثّانى و الثّالث: فالعرف بمعنىٰ المعروف أي جاء الأنبياء و الملائكة بالمعروف.

فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا

العصوف مرور الرّيح بشدّةٍ يقال عصفت الرّيح عصوفاً إذا.

إشتَّدت هُبُوها وَ ٱلنَّاشِراٰتِ نَشْرًا

و قال قتادة هي الرّياح لأنّها تنشر السّحاب للغيث كما تلحقه المطر، و قيل هي الملائكة تنشر الكتب عن اللّه و قيل أنّها الأمطار لأنّها تنشر النَّبات، و قيل النّاشرات الملائكة الموّكلون بالسُّحب ينشرونها.

فَالْفارِقاٰتِ فَرْقًا

أي الفارقات بين الحقّ و الباطل و المراد الملائكة قتادة هي أيات القرأن و قيل هو القرأن يفرق بين الحقّ و الباطل.

فَالْمُلْقِياٰتِ ذِكْرًا

أي إيقاعه علىٰ غيره فأنّ الذِّكر يلقي بالبيان و الأفهام و هو من صفة الملائكة.

أقول و الأحسن أن يقال أنّ المراد بهم الأنبياء ثمّ الأوصياء ثمّ العلماء فأنّهم يلقون الذِّكر على النّاس و المراد بالذِّكر التّوحيد و النّبوة و المعاد و جميع الأحكام الفَّرعية.

عُذْرًا أَوْ نُذْرًا

قرأ أبو عمرو و حمزة و الكسائي بإسكان الذّال في **نُذراً** و الباقي بضمّ الذّال.

و أمّا **عُذراً**، فقد إتَّفقوا على إسكان الذّال فيه سوى (عاصم) فأنّه قرأ بضمّ الذّال فيه، ثمّ أنّهم إختلفوا، فقال بعضهم هما جمع، عذير و نذير.

و قال الآخرون هما مصدران أي أعذاراً من اللّه أو إنذاراً إلىٰ خلقه من عذابه و قيل يعني الرُّسل، **يعذرون و ينذرون**، و قيل هما جمع **عاذر و ناذر**

كقوله تعالىٰ: **هٰذا نَذِيرٌ مِنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولىٰ**[۱] فيكون نَصباً علىٰ الحال مِن الإلقاء أي يلقون الذِّكر في حال القدرة و الإنذار.

إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوٰاقِعٌ

و الأصل أنّ ما توعدون لواقع، فما، موصولة بمعنى الّذي و المعنى أنّ الّذي توعدون بواسطة الأنبياء من أهوال القيامة، لواقع بكم و نازلٌ عليكم قطعاً فهو أي قوله: **لَوٰاقِعٌ** جواب ما تقدّم من القسم من المرسلات إلىٰ أخرها، فأنّ الواو في جميعها للقسم أي أقسم بما ذكرناه أنّ ما توعدون لواقع ثمّ بيَّن اللّه تعالىٰ وقت وقوع القيامة فقال:

فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ

الطَّمس محو الأثر الدّال علىٰ الشَّيء و المعنىٰ ذهب ضوءها و محي نورها كطمس الكتاب و النُّجوم الكواكب المضيئة و من علائم القيامة ذهاب نور الكواكب.

وَ إِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ

الفرج الشَّق أي شقَّقت السّماء و صدَّعت.

وَ إِذَا ٱلْجِبالُ نُسِفَتْ

نسف الجبال إذهابها حتّىٰ لا يبقىٰ لها في الأرض أثره و قيل، نسفت أي ذهب بها كلّها بسرعةٍ يقال نسفت الشّيء و أنسفته إذأ اخذته كلّه بسرعةٍ.

وَ إِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ

قيل في معناه، أي أعلمت وقت الثّواب و وقت العقاب فالتّوقيت تقدير الوقت لوقوع الفعل، و قيل معناه جمعت لوقتها ليوم القيامة و الوقت الأجل

۱- النّجم = ۵۶

الّذي يكون عنده الشّئ المؤخّر إليه فالمعنىٰ جعل لها وقتٌ و أجل للفصل و القضاء بينهم و بين الأمم كما قال تعالىٰ: **يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللّٰهُ ٱلرُّسُلَ**[1].

قال الفرّاء، الهَمزة في **أُقِتَت**، بدل من الواو، و أصله وقتت، لأنّه من التّوقيت، و قيل لما كان الرُّسل قد قدّر إرسالها لأوقات معلومة بحسب صلاح العباد فيها كانت قد وقتت تلك الأوقات بمعنىٰ أعلمت وقت الثّواب و وقت العقاب.

لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ

أي أخِّرت فالتّأجيل التّأخير إلىٰ أجلٍ فالرُّسل قد أجِّلت أي أخِّرت بموعودها إلىٰ يوم الفصل و هو يوم القيامة و فى هذا الكلام تعظيم لذلك اليوم فهو إستفهام علىٰ التّعظيم أي **لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ** أجلّت و هو اليوم الّذي يفصل فيه بين النّاس بأعمالهم إلىٰ الجنّة أو إلى النّار.

فقد روي أنّه إذا حشر النّاس يوم القيامة قاموا أربعين عاماً شاخصة أبصارهم إلىٰ السّماء ينظرون الفصل، و كيف كان لا شكّ أنّ يوم القيامة لا يمكن أن يوصف في هوله و شدّته و لذلك قال تعالىٰ:

وَ مَآ أَدْرٰيكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ

ما، نافية أي لا تعلم أي يوم يوم الفصل، فما في قوله: **مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ** إستفهاميّة بمعنىٰ (أيُّ) أي لست تعلم أيُّ شئٍ يوم الفصل.

وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ

الويل، بفتح الواو، وادٍ في جهنّم، فيه ألوان العذاب، قيل روي عن النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال، عرضت علّي جهنّم فلم أر فيها وادياً أعظم من الويل.

و روي أنّه مجمع ما يسيل من قبيح أهل النّار و صديدهم.

١- المائدة = ١٠٩

و قال بعضهم أنّ ذلك الوادي مجمع صديد أهل الكفر و الشّرك ليعلم ذوا العقول أنّه لا شئ أقدر منه و لا أنتن منه نتناً، و لا أشدَّ منه مرارةً و لذلك وصفه رسول اللّه بما وصف و قال: لم أر فيها وادياً أعظم من الويل أعاذنا اللّه منه.

ثمّ قال تعالىٰ أنّه للمكذّبين، أي الويل أعدّه اللّه لمن كذَّب رسله ولم يؤمن بهم و ذلك لأنّ تكذيب الرّسول هو تكذيب اللّه في الحقيقة و أيُّ كفرٍ أشدَّ من تكذيب اللّه.

أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ، ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ، كَذٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ، وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ

الإستفهام للإنكار أي أهلكنا الأوّلين من الأمم الماضين، كقوم نوح و قوم عاد و ثمود، و فرعون و من تبعه إلىٰ غير ذلك من المنكرين الكافرين، ثمّ نتبعهم الأخرين أي نلحق الأخرين بالأوّلين فأنّ حكم الأمثال واحد و أنّه تعالىٰ علىٰ كلّ شئٍ قدير و ملاك العذاب فيهم موجود، فإستحقاق العذاب ثابت للأخرين كما كان ثابتاً للأوّلين.

كَذٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ أي مثل ما فعلناه بمن تقدَّم نفعل بمشركي قريش إمّا بالسّيف و إمّا بالهلاك، ويلٌ بالمكذّبين، أي يوم القيامة للمكذّبين.

أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مٰاءٍ مَهِينٍ، فَجَعَلْنٰاهُ فى قَرٰارٍ مَكِينٍ، إِلىٰ قَدَرٍ مَعْلُومٍ، فَقَدَرْنٰا فَنِعْمَ ٱلْقٰادِرُونَ، وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ

الإستفهام للإنكار أي خلقناكم من ماءٍ مهين، أي من نطفةٍ، و المهين الضَّعيف و الحقير وصف اللّه تعالىٰ النُّطفة بالحقارة و هى كذلك و فى الآية دلالة واضحة علىٰ أنّ خلق الجنين أنّما هو من ماء الرَّجل وحده و فيه ما لا يخفىٰ من الدّلالة علىٰ أنّ للإنسان مدّبراً و صانعاً و خالقاً فمن جحده كان كالمكابر عقله، فجعلناه، أي جعلنا الماء و هو النُّطفة، في قرارٍ مكينٍ، فالقرار

المكان الّذي يمكن أن يطول فيه مكث الشّئ، و المراد بالمكين الرَّحم أي جعلناه في مكانٍ حريز و هو الرَّحم.

إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ أي إلىٰ أن نصّوره، أو إلى وقت الولادة، فالقدر المعلوم الّذي لا زيادة فيه و لا نقصان فكأنّه قال إلىٰ مقدارٍ من الوقت المعلوم.

أقول الْقَدر بفتح القاف و سكون الدّال و الرّاء ما يقدّره اللّه من القضاء و بفتح الدّال ما صدر مقدوراً عن فعل القادر.

قال الرّاغب في المفردات و تقدير منّي الإنسان أن يكون منه الإنسان دون سائر الحيوانات فتقدير اللّه علىٰ وجهين:

أحدهما: بالحكم منه أن يكون كذا و لا يكون كذاإمّا علىٰ سبيل الوجوب و إمّا علىٰ سبيل الإمكان و علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: **قَدْ جَعَلَ ٱللّٰهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا**(١).

الثاني: بإعطاء القدرة عليه فقوله: **فَقَدَرْنا فَنِعْمَ ٱلْقادِرُونَ** فيه تنبيهٌ علىٰ أنّ كلّ ما يحكم به فهو محمودٌ في حكمه أو يكون من قوله: **قَدْ جَعَلَ ٱللّٰهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا** و قرئ **فَقَدَّ**رنا بالتّشديد و ذلك منه أو من إعطاء القدرة و كيف لا شكّ أنّ اللّه تعالىٰ قادرٌ علىٰ كلّ شيءٍ بل الحقّ أنّه لا قدرة إلاّ قدرته كما لا لم إلاّ علمه و لا حياة إلاّ حياته **وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ** أي يوم القيامة للمكذّبين.

أَ لَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفاتًا، أَحْيآءً وَ أَمْواتًا، وَ جَعَلْنا فيها رَواسِىَ شامِخاتٍ وَ أَسْقَيْناكُمْ مآءً فُراتًا، وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ

الهَمَزة أيضاً للإنكار و المعنىٰ جعلنا الأرض كفاتاً، و الكفاة الغمام أي ضامّة تضّم الأحياء علىٰ ظهورها و الأموات في بطنها، و هذا يدلّ علىٰ وجوب واراة الميّت و دفنه في الأرض حتّىٰ الإمكان هكذا قيل و إلىٰ ذلك أشار بقوله **أَحْيآءً وَ أَمْواتًا** أي أنّ الأرض تضّم الأحياء و الأموات و الكفت في الأصل الضمّ و الجمع و إلىٰ هذا المعنىٰ أشار الشّاعر بقوله:

١- الطّلاق = ٣

كرامُ حين تنكفت الأفاعى إلىٰ أحجارهنّ من الصَّفيع

و قال أبو عبيد الكفاة الأوعية و منه قول الشّاعر:

فأنت اليوم فوق الأرض حيّاً و أنت غداً تضُّمك في كفاةٍ

وَ جَعَلْنا فِيها أي في الأرض **رَواسِيَ شامِخاتٍ** أي الجبال الثّابتات الطُّوال، فالشّامخات الطَّوال، و قد مرَّ الكلام فيه غير مرَّةٍ.

أَسْقَيْناكُمْ مٰاءً فُراتًا فالفرات الماء العذب يشرب و يسقىٰ منه الزّرع **وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ** قال بعض المحقّقين أنّ هذه الأمور أعجب من البعث إلاّ أنّه لا يقدر عاقلّ علىٰ إنكارها لكونها من الأمور المحسوسة ولو تأمّل فيها متّأمل يراها أعجب من البعث ولكن ما أكثر العبر و أقلّ الإعتبار فأنّ اللّهِ القادر على المذكور في تلك الأيات كيف لا يقدر علىٰ البعث، ثمّ كيف يعبد غيره.

اِنْطَلِقُوا إِلىٰ مٰا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ

الإنطلاق الإنتقال من مكانٍ إلىٰ مكانٍ أخر من غير مكثٍ الإنتقال و هو مأخوذ من الإطلاق خلاف التَّقييد، فالإنتقال من حالٍ إلىٰ حالٍ أو من إعتقادٍ إلىٰ إعتقادٍ لا يسمّىٰ إنطلاقاً و حيث أنّ الكفّار ينتقلون من غير النّار إلىٰ النّار قال تعالىٰ: **اِنْطَلِقُوا** أي إنتقلوا إلىٰ جهنَّم الّتى كنتم بها من المكذّبين و بعبارةٍ أخرىٰ إنتقلوا إلىٰ النّار الّتى أنكرتموها في الدُّنيا جزاءً علىٰ المعاصي ثمّ ذكر اللّه الموضع الّذي أمرهم بالإنطلاق إليه.

اِنْطَلِقُوا إِلىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ، لا ظَلِيلٍ وَ لا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ، إِنَّها تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ، كَأَنَّهُ جِمالَتٌ صُفْرٌ، وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ

لمّا أمرهم اللّه بالإنطلاق إلىٰ ما كذّبوه و هو النّار بيَّن في هذه الأيات أوصافها و هى ثلاثة أو أربعة فقال أنّها ظلٌّ له ثلاث شعب، فالظّل دخانٌ من

جهنّم ينقسم ثلاث شعب كما قال تعالىٰ: **أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا**[1].

لَا ظَلِيلٍ وَ لَا يُغْنِي مِنَ ٱللَّهَبِ الظّليل المانع عن الأذىٰ بستره عنه و هو من الظِّلة و هى السِّترة و المراد به ها هنا الدُّخان لا يغني من حرّ النّار شيئاً و بيَّن ذلك بقوله: **وَ لَا يُغْنِي مِنَ ٱللَّهَبِ** و اللَّهب إرتفاع الشَّرر و هو إضطرام النّار و محصّل الكلام في معنىٰ الآية إنطلقوا الىٰ ظلٍ أي دخانٍ لا يغني و لا يدفع من حرّ النّار شيئاً.

و الشُعبة الثّانية: قوله: **إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ** يغني النّار ترمي بشررٍ كالقّصر، و **الشَّرَر** بفتح الشّين و الرّاء واحدها، شررة، كما أنّ الشّرار، و احدته، شرارة، فالشَّرر ما تطاير من النّار في كلّ جهةٍ واصلة من شررت الثَّوب إذا بطشه للشّمس ليجفّ، و المقصود أنّ شرار النّار ترميهم و قوله: **كَالْقَصْرِ** و **القَصر** بفتح القاف و سكون الصّاد البناء المرتفع العالي و هو في معنى الجمع علىٰ طريق الجنس و على هذا فالمعنىٰ الحصون و المدائن شبَّه اللّه تعالىٰ شرر النّار بالقصر في علّوه و إرتفاعه، و قيل، القصر. جمع، قصرة، ساكنة الصّاد، مثل، جمرة و جمرٍ، و ثمرة و ثمر، و القصرة الواحدة من جزل الحطب الغليظ و عن البخاري عن إبن عبّاس في قوله: **تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ** كما ترفع الخشب ثلاثة أذرع أو أقَّل فترفعه للشّتاء فتسميّه القصر و عن سعد بن جبير و الضّحاك هي أصول الشَّجرة و النّخل العظام إذا رفع و قطع و قيل أعناقه، و قال مجاهد و غيره **كالقَصر** بفتح الصّاد أي أعناق النَّخل، و القصرة، العنق، جمعها، قصر و قصرات، و قال قتادة، أعناق الأبل، و الأقوال كثيرة و المشهور عند المفسّرين هو القول الأوّل.

الشّعبة الثّالثة: قوله تعالىٰ: **كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ** قرأ حفص و حمزة و الكسائي **جِمالة** بكسر الجيم بصيغة المفرد و بقية الشّعبة (جمالات) بصيغة

---

[1] ١– الكهف = ٢٩

الجمع و المصاحف كلّها علىٰ القراءة الأوّلىٰ ثمّ أنهم إختلفوا فقال الفّراء يجوز أن يكن (جمالات) جمع، جمال، كما يقال، رجل و رجل و رجلات، و قرأ بعضهم (جُمالات) الجيم و هى الجبال الغلاظ و علىٰ أيّ التّقادير فالجمالات الصفّر، و هى الأبل السُّود و العرب تسمّىٰ السُّواد من الأبل صفراً قال الشّاعر:

وتلك خيلي منه و تلك ركابى　　　هنَّ صفّرٌ أولادها كالزبيب

و أنمّا سميّت السُّود من الأبل صفّر لأنّه يشوب سوادها شئ من صفرةٍ و بعضهم ضعَّف هذا القول و قال إنّا لا نعلم شيئاً منها في اللُّغة و وجّه عندنا أنّ النّاس خلقت من النُّور فهي نارٌ مضيئة ثمّ إسودَّت وإزدادت حدّة و صارت أشدَّ سواداً من النّار و من كلّ شيءٍ سواداً، و الشَّرر أسود لأنّه من نارٍ سوداء فإذا رقت النّار بشررها ترمي الأعداء به **وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ** أي يوم القيامة للمكذّبين و قد مضىٰ معناه.

هٰذا يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ، وَ لا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ، وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ

هذا، يوم القيامة **يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ** أي لا يتّكلمون، إختلفوا في معنىٰ هذا اللَّفظ، فقال قومٌ لا يتكّلمون من هول محشر و خوفه و قيل يوم القيامة له مواطن و مواقيت فهذا من المواطن الّتى لا يتّكلمون فيها **وَ لا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ** أي لا يؤذن لهم، في الإعتذار أيضاً.

و قيل إنّهم لا ينطقون بحجَّةٍ نافعة و من نطق بما لا ينفع و لا يفيد فكأنَّه ما نطق عليه السلام.

أقول معنىٰ الكلام ظاهر يستفاد من قوله لا يوذن لهم فيعتذرون، فالمعنىٰ لا كلام لهم لينطقوا به لأنّ الحجّة قد تمّت عليهم، أو المعنىٰ لا يوذن بالنّطق كما لا يوذن لهم بالإعتذار **وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ**.

هٰذاٰ يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنٰاكُمْ وَ ٱلْأَوَّلِينَ، فَإِنْ كاٰنَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ، وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ

هذا، إشارة إلىٰ يوم القيامة و هو اليوم الّذي هم فيه، يقول اللّه تعالىٰ هذا يوم الفصل، أي يوم الحكم بين الخلائق، و الفصل قطع غلق الأمور بتوفية الحقوق **جَمَعْنٰاكُمْ وَ ٱلْأَوَّلِينَ** أي جمع اللّه تعالىٰ الّذين كذّبوا محمّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ و الّذين كذّبوا النّبيين من قبله و بعبارةٍ أخرىٰ جمع اللّه المكذّبين من الأوّلين و الأخرين و ذلك لوحدة الملاك و هى التّكذيب و لا فرق فيه بالنّسبة إلىٰ جميع الأنبياء **فَإِنْ كاٰنَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ** أي حيلة في الخلاص من العقاب و الهلاك **فَكِيدُونِ** أي فكيدوني حذفت الياء لدلالة الكسرة عليه رعايةً للسّجع و المعنى فإحتالوا لأنفسكم و فيه توبيخٌ من اللّه لهؤلاء الكفّار و من لا يقدر من دفع العذاب من نفسه فهو علىٰ دفعه عن غيره أعجز و أضعف، **وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ** ثمّ بعد ذلك أشار اللّه تعالىٰ إلىٰ أحوال المتّقين.

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي ظِلاٰلٍ وَ عُيُونٍ

أي أنّ الّذين إتّقوا معاصي اللّه و أتوا بطاعاته و طلبوا ثوابه فهم في ظلالٍ، و هو جمع ظلّ و هو الحجاب العالي المانع من كلّ أذى و المراد بالظّلال ظلال الأشجار و ظلال القصور فكان الظّل في الشّعب الثّلاث (و عيون) و هى ينابيع الماء الّتى تجري في ظلّ الأشجار.

وَ فَوٰاكِهَ مِمّٰا يَشْتَهُونَ

فواكه، جمع فاكهة و الفواكه ثمار الأشجار الّتى من شأنها أن تؤكل إذ قد يكون من الثّمر ما لا يؤكل كالثّمر المرّ فأنّه ليس من الفاكهة.

كُلُوا وَ ٱشْرَبُوا هَنِيئًا بِمٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

أي يقال لهؤلاء المتّقين كلوا و أشربوا أي كلوا من الثّمار و أشربوامن العيون.

إِنَّا كَذٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ

أي يثيب الّذين أحسنوا في إيمانهم باللّه و رسوله **وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ**.

كُلُوا وَ تَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ

هذا مردودٌ إلىٰ ما تقدّم قبل المتّقين و هو وعيدٌ و تهديدٌ و هو حال من المكذّبين، أي الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم.

كُلُوا وَ تَمَتَّعُوا قَلِيلًا أنّكم مجرمون أي كافرون **وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ**.

وَ إِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ

فالرّكوع هو الإنخفاض على وجه الخضوع و قد يعبّر به عن نفس الصّلاة و المراد به هاهنا الصّلاة و المعنىٰ إذا قيل لهؤلاء الكفّار صلّوا، لا يصلّون و قيل أنّه يقال لهم ذلك في الأخرة كما قال تعالىٰ: **يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ**[١] و قيل يقال لهم ذلك في الدّنيا.

و إنّما ذكر الصّلاة من بين الواجبات لأنّها فارقة بين الكفر و الإيمان **وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ**.

فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ

و ذلك لأنّ القرأن أتى بأظهر البرهان فمن كفر به فليس ممّن يفلح بالإيمان بكلام غيره فأنّ من لم يؤمن بما فيه من المعجزة و هو القرأن كيف يؤمن بما ليس فيه إعجاز ك و هو ظاهر و الحمد للّه ربّ العالمين.

■

١- القلم = ٤٢

الفهرست

سُورَةُ ٱلْمُجَادَلَةِ ۹

الآيات ۱ الى ۲۲ .... ۹

اللّغة ۱۲

الإعراب........ ۱۲

التّفسير ۱۳

■

سُورَةُ الحَشْرِ........ ۳۹

الآيات ۱ الى ۲۴ .... ۳۹

اللّغة ۴۲

الأعراب........ ۴۳

التّفسير ۴۳

■

سُورَةُ اَلْمُمْتَحَنَةِ ۷۹

الآيات ۱ الى ۱۳ .... ۷۹

اللّغة ۸۱

الإعراب ۸۲

التّفسير ۸۲

■

سُورَةُ الصَّفِّ ۱۱۱

الآيات ۱ الى ۱۴ .... ۱۱۱

اللّغة ۱۱۲

الإعراب ۱۱۳

التّفسير ۱۱۳

■

سُورَةُ اَلْجُمُعَةِ ۱۲۵

الآيات ۱ الى ۱۱ .... ۱۲۵

اللّغة ۱۲۶

الإعراب ۱۲۶

التّفسير ۱۲۷

■

سُورَةُ ٱلْمُنٰافِقوُنَ ۱۴۷

الآيات ١ الى ١١ .... ۱۴۷
اللّغة ۱۴۸
الإعراب ۱۴۹
التّفسير ۱۴۹

■

سُورَةُ ٱلتَّغٰابُنِ ۱۶۱

الآيات ١ الى ١٨ .... ۱۶۱
اللّغة ۱۶۳
الإعراب ۱۶۳
التّفسير ۱۶۳

■

سُورَةُ ٱلطَّلاٰقِ ۱۸۵

الآيات ١ الى ١٢ .... ۱۸۵
اللّغة ۱۸۷
الإعراب ۱۸۷
التّفسير ۱۸۸

■

سُورَةُ ٱلتَّحْرِيمِ ۲۰۹

الآيات ۱ الى ۱۲ .... ۲۰۹
اللّغة ۲۱۱
الإعراب ۲۱۱
التّفسير ۲۱۲

■

سُورة المُلك ۲۳۵

الآيات ۱ الى ۳۰ .... ۲۳۵
اللّغة ۲۳۷
الإعراب ۲۳۸
التّفسير ۲۳۹

■

سُورة القَلَم ۲۵۹

الآيات ۱ الى ۵۲ .... ۲۵۹
اللّغة ۲۶۱
الإعراب ۲۶۳
التّفسير ۲۶۳

■

سُورَةُ اَلْحَاۤقَّةِ ۲۹۱

الآيات ۱ الى ۵۲ .... ۲۹۱
اللّغة ۲۹۳
الإعراب ۲۹۴
التّفسير ۲۹۵

■

سُورَةُ اَلْمَعَارِجِ ۳۱۹

الآيات ۱ الى ۴۴ .... ۳۱۹
اللّغة ۳۲۱
الإعراب ۳۲۱
التّفسير ۳۲۲

■

سُورَةُ نوُحٍ ۳۴۳

الآيات ۱ الى ۲۸ .... ۳۴۳
اللّغة ۳۴۴
الإعراب ۳۴۵
التّفسير ۳۴۶

■

سُورَةُ ٱلْجِنّ ٣٦٣

الآيات ١ الى ٢٨ .... ٣٦٣
اللّغة ٣٦٥
الإعراب ٣٦٥
التّفسير ٣٦٥

سُورَةُ ٱلْمُزَّمِّلِ ٣٨٧

الآيات ١ الى ٢٠ .... ٣٨٧
اللّغة ٣٨٨
الإعراب ٣٨٩
التّفسير ٣٨٨

سُورَةُ ٱلْمُدَّثِّرِ ٤٠٥

الآيات ١ الى ٥٦ .... ٤٠٥
اللّغة ٤٠٧
الإعراب ٤٠٨
التّفسير ٤٠٨

سُورَةُ ٱلْقِيٰمَةِ ۴۲۷

الآيات ۱ الى ۴۰ .... ۴۲۷
اللّغة ۴۲۸
الإعراب ۴۲۹
التّفسير ۴۲۹

■

سُورَةُ ٱلْإِنْسٰانِ(الدّهر) ۴۵۱

الآيات ۱ الى ۳۱ .... ۴۵۱
اللّغة ۴۵۳
الإعراب ۴۵۴
التّفسير ۴۵۴

■

سُورَةُ ٱلْمُرْسَلاٰتِ ۴۷۹

الآيات ۱ الى ۵۰ .... ۴۷۹
اللّغة ۴۸۰
الإعراب ۴۸۲
التّفسير ۴۸۲

■